طبيعة العلاقات العسكرية والاقتصادية بين نوميديا وروما ما بين 203 ق،م-46 ق،م.

أ/ توريرت مصطفى. قسم التاريخ، جامعة محمد خيضر- بسكرة- الجزائر.

اختلفت المصادر الإغريقية والرومانية في نظرتها لعلاقة نوميديا بروما في الجانب العسكري والاقتصادي ما بين الفترة الممتدة من 203 ق.م إلى 46 ق.م، هذه الأخيرة لا تخرج عن نطاق العلاقات السياسية، فإذا كانت المصادر الرومانية قد انطلقت من فكرة الصراع بين تيار العامة والارستقراطية في نظرتها للأراضي التي انهزم فيها أعداء روما، وبذلك جاءت كتابات ساليست و تيت ليف انعكاسا لهذا الصراع، فإن المصادر الإغريقية تعتبر أقل تحيزا، فلقد نظرت للعلاقات النوميدية الرومانية بأكثر موضوعية، نجد عند أبيان وبوليب أن طبيعة العلاقة بين مملكة نوميديا وجمهورية روما، ما هي إلا علاقة تحالف وصداقة، ولا مجال للتبعية فيها، ولا مجال لفكرة العطاء Donatio التي روج لها ساليست وتيت ليف، وأخذها المؤرخون المحدثين.

لقد برزت مملكة نوميديا بشكل بارز في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد في إطار الحروب البونية، غير أن نظرة المصادر الرومانية لسيادة هذه المملكة وشرعية ملوكها تختلف عن نظرة المصادر اليونانية، فساليست و تيت ليف يَعْتَبران مملكة نوميديا آلت شرعيا إلى حوزة الرومان بعد هزيمة سيفاكس، ويشككان في مدى استقلال المملكة عن الجمهورية الرومانية ابتداء من سنة 203 ق،م، وأن مسينيسا لا حق له في العرش وأنه لم يكن سوى وكيل لمجلس الشيوخ الروماني على هذه المملكة، وأن أبناءه وأحفاده كانوا كذلك أيضا، ساليست في كتابه حرب يوغرطة ذكر أن نوميديا لم تكن مملكة سوى بالمجاملة وأن وجودها كان وهميا وأن اسمها مدين للشعب الروماني الذي دفعت به الضرورة إلى تكليف شيخ قبيلة بتسييرها باسمه فسلمته الحلة الأرجوانية وداعبته بلقب ملك، أما تيت ليف لم يخرج عن الإطار الذي رسمه ساليست بشأن تبعية نوميديا لروما، وحاول أن يستدل ذلك بعدم قبول المملكة لتعويضات بعثت بها روما إليها عن الحبوب التي تلقتها منها أثناء حروبها في اليونان، أن مسينيسا -على لسان ابنه- لا يقبل هذه التعويضات أنه مدين للشعب الروماني الذي عينه ملكا، وحسبهم تحولت نوميديا من مملكة حليفة إلى مملكة تابعة، وبذلك فهذه الصفقات التجارية لم تكن سوى هبات قدمها العاهل النوميدي لروما لرد الجميل، أما في المصادر اليونانية فنظرت إلى هذه العلاقة من باب التحالف، شأنها في ذلك شأن الممالك القديمة في تلك الفترة، ولا مجال للتبعية.

من هذا المنطلق سأحاول معالجة طبيعة العلاقات الاقتصادية والعسكرية بين نوميديا وروما مابين 203-46ق.م اعتمادا على المصادر القديمة، وذلك بالمقارنة بين المصادر الإغريقية والرومانية، ومن هنا نتساءل عن طبيعة هذه العلاقات، هل كانت المساعدات العسكرية التي قدمتها مملكة نوميديا من باب التحالف أو من باب التبعية؟ ما هي نظرة المصادر القديمة لذلك؟ وما موقف الدراسات الحديثة من الموضوع؟ وفي الجانب الاقتصادي ارتبطت المملكة بعلاقات تجارية مع مختلف شعوب البحر المتوسط، هل كانت هذه العلاقات التجارية بين مملكة نوميديا والجمهورية الرومانية صفقات تجارية بين الطرفين ؟. أم أنها عربون صداقة لا غير بهدف رد الجميل لروما لأنها منحت الملك والعرش لمسينيسا ليسيرها بالوكالة ؟

أولا: طبيعة العلاقات العسكرية بين نوميديا وروما:

العلاقات العسكرية بين نوميديا وروما لا تخرج عن نطاق العلاقات السياسية، باعتبار أن القوة العسكرية من أهم ركائز للدول للحفاظ على سيادتها وصَوْن حدودها، وفرض سيادتها الخارجية للدول والقائمة على عقد معاهدات التحالف والتعاون بما يخدم مصالح كل دولة.

ظهور العلاقات العسكرية لنوميديا كانت في إطار الصراع بين أكبر قوتين في حوض المتوسط وهما قرطاجة وروما، بحيث سعى كل طرف إلى بسط نفوذه وسيطرته على المتوسط، وحفاظ كل طرف على مصالحه، ولجأ المتصارعان إلى البحث عن التحالفات وذلك لضمان الدعم والمساندة، وبالمقابل كانت تتوافق مع طموحات الملوك النوميد في تأسيس ممالك قوية قائمة على ركائز متينة، تسمح لهم بأن يكون لهم دورا في حوض المتوسط[1].

[1] Gsell St., Histoire ancienne de l'Afrique du nord, T. III , libraire Hachette, paris, 1920, p.207.

لكن هذه الأوضاع التي مرت بها منطقة البحر المتوسط جعلت من طبيعة العلاقات العسكرية تتسم بالتباين من فترة إلى أخرى، وذلك تماشيا مع التطورات التي تشهدها كل فترة، والتي كانت تتحكم فيها قوة وضعف الدول المتصارعة فيما بينها، وبالأخص قرطاجة وروما، والتي جعلت من مملكة نوميديا محل استناد كبير في حوض المتوسط.

العلاقات العسكرية لنوميديا مع روما كانت نتيجة حتمية للعلاقات القرطاجية النوميدية، فقد عرفت قرطاجة فترة صراع مع غايا، وهذا نتيجة التوسع القرطاجي على حساب أراضيهم ومحاولة الاستيلاء على بعض المدن التابعة لهم[1]، إلا أن الظروف التي كانت تمر بها قرطاجة أدركت ما كانت تقوم به، وعدلت عن سياستها، فأول خطوة قامت بها التنازل لغايا عن الأراضي المتنازع عنها مقابل مناصرتها في الحرب ضد الرومان[2]، بحيث وضع جنوده وعلى رأسهم مسينيسا في خدمة قرطاجة، وكان حليفا قويا لها[3].

لكن وفاة غايا والملابسات التي طبعت خلافة عرش نوميديا الشرقية، وما لقرطاجة من يد فيها، حيث انقلب ضدها وتحالف مع الرومان بعد أن قرروا نقل الحرب إلى إفريقيا[4]، ومن جهته سيفاكس تحالف مع القرطاجيين وقدم لهم يد المساعدة العسكرية ضد الرومان[5]، بعدما تيقن بأن الرومان هم أخطر من القرطاجيين.

فقد قدمت قرطاجة مساعدات عسكرية لسيفاكس حتى تساعده في القضاء على مسينيسا، في حين وقف هذا الأخير إلى جانب روما، وقدم لها مختلف المساعدات العسكرية والاقتصادية، وساهم مساهمة فعالة في إضعاف قرطاجة[6]، ومنح الذريعة للقادة الرومان لإعلان الحرب عليها والسيطرة عليها، مقابل دعمه ضد منافسه سيفاكس، وبذلك فتح المجال واسعا أمام روما لتضع أقدامها في بلاد المغرب، تمهيدا للسيطرة عليها كلية، إذ نرى أنه لو مساعدة مسينيسا لما انتصرت روما، ولتغير تاريخ المنطقة[7].

نستخلص من المصادر التاريخية بأن العلاقات العسكرية مع روما سادها الاختلاف والتباين والتمييز من فترة إلى أخرى، فبدايتها تميزت بالمصالح المشتركة، بحيث أن مسينيسا كان مفتاح الرومان في إفريقيا، وفيه من يرى أن الرومان كان لهم دور كبير في استرجاع مسينيسا لعرشه، والقضاء على غريمه سيفاكس.

نجد عند بوليب ما يفند ذلك، فهو يذكر أن معاهدة زاما 201 ق.م تضمنت مصالح المملكة النوميدية كطرف ثالث في الصراع[8]، في حين يرى قزال أن روما إدعت لنفسها هذا الانتصار وهذه الفتوح وأرادت أن تؤكد أن مسينيسا مدين لها بكل شيء[9]، لكننا أشرنا فيما سبق، أن نظرة روما للأراضي التي انهزم فيها أعدائها، تعتبرها حق شرعي للشعب الروماني، فهي ترى أن الفضل في القضاء على سيفاكس يعود لقواتها، غير أن شنيتي يذكر أن انتصار مسينيسا على خصمه كان بمساعدة فصيلة من الجيش الروماني وقائدها ليليوس، وهزم حنبعل بفعالية الفرسان النوميد بقيادة مسينيسا، ذلك أنه بمجرد مشاركة رمزية لجنود رومان في تلك المعركة الفاصلة أكسبت الشعب الروماني حق الانتفاع بأرض المهزومين[10]، ولكن عندما انتصر مسينيسا كانت نوميديا مجزأة إلى شرقية وغربية، فالقسم الشرقي ملك وراثي لمسينيسا، والثاني أصبح في وضع غنيمة حرب له و لحلفائه الرومان.

وقد سادت فكرة أكثر تطرفا في أوساط الديمقراطيين – وساليست واحد منهم- يروج لها نواب العامة، حيث قللوا من دور مسينيسا في الحرب البونية الثانية، وأنه لم يفعل أكثر من أنه ساعد الرومان في فتوحاتهم بنوميديا الغربية، وبذل بعض الجهود في معركة زاما

---

[1] Tite-Live, Histoire romaine, trad. M. Nicard, 7.1J, J, Duboucher et Coupagne, Paris, 1941, IX,

[2] Polybe, Histoire romaine, trad. D, Rourrel, édi Gallimard, Paris, 1970, XXIV, 14.23.

[3] Appien A., Histoire des guerres civiles de la république romaine,Trad. par Combes dounous, imp. des frères Mama, paris, 1808, Lib . 10.

[4] Tite live , XXVIII, 35.

[5] Ibid, XXIX, 35.10-11.

[6] الهادي حارش محمد ، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول (203- 46ق.م) دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ب-ت ، ص، ص 17.

[7] بشاري محمد لحبيب، "علاقة روما بالممالك الإفريقية بعد زوال قرطاجة"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، ع19، تصدر عن قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، جوان 2012،ص50.

[8] Polybe, XV.

[9] Gsell (St), op – cit, p 255.

[10] شنيتي محمد البشير، "قضية السيادة النوميدية من خلال المصادر القديمة"، مجلة الدراسات التاريخية، ع5، يصدرها معهد التاريخ، جامعة الجزائر ، 1988، 36.

202 ق.م، ومن ثمة استحق عطاء محدودا، لكن أبيان يذكر أن الجنود الرومان المصاحبين لجيش مسينيسا لم يلعبوا دورا يذكر في المعارك التي دارت ضد سيفاكس، وأن مسينيسا هو الذي تمكن من الانتصار على عدوه وأسره وأنه قرر إرساله إلى حليفه سكيبيو بمحض إرادته وليس قائد الجنود الرومان ليليوس هو الذي أجبره في ذلك[1].

كما أن تيت ليف ذكر إشارة تضمنت اعتراف مجلس الشيوخ الروماني بمملكة نوميديا جاء فيها: "أرسل السيناتو بعثة لتهنئة مسينيسا ليس فقط لكونه سيطر على مملكة آبائه ولكن لأنه وسعها بضم القسم الأكثر غنى من مملكة سيفاكس"، وبخصوص هذه الشرعية يقول شنيتي نقلا عن بوليب أن :"أهل الماسيل وضعوا بين يدي مسينيسا مملكة آبائه وهم سعداء بأنه سيكون ذلك الملك المرتقب منذ أمد بعيد"[2]، فهي إشارة عن إخلاص النوميد وثقتهم في المملك الذي سيعتليه دون اكتراث برأي روما.

وفيه ما يؤكد ذلك عند بوليب، الذي أشار أن مسينيسا ملك حر، ولكنه صديق الرومان شأنه شأن معاصريه من الملوك، كما أن معاهدة زاما تضمنت مصالح المملكة النوميدية كطرف ثالث في النزاع[3]، أما أبيان فيورد في هذا الصدد أن مسينيسا دخل الحرب البونية الثانية كملك نوميدي قوي الجانب، وأنه دخلها إلى جانب سكيبيو مخيرًا على رأس جيش من رعايا مملكة أجداده الماسيل، جيش متمرس على فنون وأساليب القتال التي تقتضيها الأرض الإفريقية، كما أن مسينيسا دخل الحرب بعبقرية عسكرية دون أن يهمل نصائح حليفه سكيبيو[4]، وفي هذا السياق يدخل يشن هجومه الانفرادي على خصمه سيفاكس ودخوله مدينة سيرتا، وألقى القبض على سوفونيزبة[5]، ثم قتلها بدل تسليمها لحليفه سكيبيو الذي جَدَّ في طلبها، وحسب أبيان فإن مسينيسا كان يهدف إلى الحصول على إمبراطورية واسعة الأرجاء، وبذلك كَوَّن نوميديا المستقلة حسب تصوره وفق رغبته[6].

فهذه الإشارات تفند ما ذكره فنطر أن سكيبيو أرسل مع مسينيسا ثلة من أعوانه كي يساعدوه في توطيد مكانته بين القبائل[7]، كما نستبعد ما ذكره قزال بأن سكيبيو لم يرسل القوات الرومانية صحبة مسينيسا باعتباره حليف الرومان فحسب، بل يشعره بأنه مدين لروما وجيشها[8].

رأينا مما سبق كيف استغل مسينيسا إحدى بنود معاهدة زاما التي تحقق له استرجاع الممتلكات والحقول والمدن وجميع ما بحوزة مسينيسا أو كان تابعا لمملكة آبائه يجب إعادته إليه، فكان له ذلك بعد أن ضم مملكة سيفاكس سنة 203 ق.م، ثم استغل فرار "أفتير" أحد المتمردين سنة 193 ق.م فاستولى على إقليم أمبوريا، والمنطقة الممتدة من لمطة إلى طرابلس[9]، وهذا ما شجعه على استرجاع ما أسماه كامبس بالحفر الفينيقية[10]، كما افتك ما بين 174-171 ق.م حوالي 70 مدينة[11]، واستكمل السيطرة على إقليم أمبوريا[1]، ثم السهول الكبرى سنة 153 ق،م توسكا التي تشمل 50 مدينة[2].

---

[1] نفسه، ص ص 38-39.

[2] Polybe, XV, 5.13.

[3] Polybe, XV, 18,1.

[4] سكيبيو كورنليوس بوبليوس Publius Corneluis Scipion (235-183 ق،م): المسمى الإفريقي بسبب حروبه في إفريقيا، ينتمي إلى عائلة كورنيليا Cornelia الرومانية من طبقة الأشراف، وكان أبوه قائدا حربيا، وجهت إليه تهم الفساد وأحس بالمضايقات في روما، فغادرها إلى منطقة ريفية في كمبانيا، أين قضى آخر أيامه و توفي عن عمر 52 سنة، و لتنكر وطنه لفضائله عليه أوصى ألا يدفن في روما و أوصى أن يكتب على قبره " أيها الوطن الجحود لن تنال عظامي". عقون محمد العربي، "ماسينيسا من استعادة حقه في العرش الماسيلي الى بناء الوحدة النوميدية"، مجلة الجزائر النوميدية تاريخ و حضارة، قسنطينة، 2008.، ص ص 40-41

[5] صوفونيزبة: ابنة القائد القرطاجي صدر-بعل بن جيسكون، شاركت زوجها العاهل النوميدي سيفاكس، فأعنته في تسيير مملكته، وقد اهتم المؤرخون الأجانب بزواجها بالملك سيفاكس، وجعلوه أحد أسباب الصراع بينه وبين الملك ماسينيسا، وتجريد الملكين من مسؤوليتها كممثلين لمملكتين كانتا تتصارعان على الحدود بينها و السيادة على بلاد المغرب القديم. وقد وصفها تيت ليف بسحر الجمال، وقوة الشخصية، ونباهة العقل. Et Evelyne P., Sophonisbe reine de Numidie (Algérie au temps des royaumes Numides, Ve siècle avant J-C- 1er siècle après J-C), Smogy éditions d'art, Paris, 2003, pp 155-157.

[6] شنيتي محمد البشير، قضية السيادة النوميدية...، ص ص 38-39.

[7] فنطر محمد حسين، يوغرطة، الدار القومية للنشر، تونس، 1970، ص 75.

[8] Gsell S ,. H.A.A.N, p 160.

[9] Soumagne .Ch., La Numidie et Rome, P. U. F., Paris, 1966. P 238.

[10] Camps G., *Aux Origines de la berberie, Massinissa ou les débuts de l'histoire*, in Libyca, Archéologique Epigraphie, T., VIII, 1960, p.19.

[11] حارش محمد الهادي، التطور السياسي ...، ص 27.

لكن ما موقف روما على سياسة مسينيسا التوسعية، هل كانت لترضى إذا استولى على قرطاجة، يرى حارش أن مسينيسا استغل الدعم الذي قدمه لروما أثناء حروبهم ضد مقدونيا[3]، وسوريا، والليغوريين والسلتي ابيريين، لكن بعد قرار لجنة التحقيق التي ترأسها كاتون[4]، وكذلك خطاب كنتيوس أمام مجلس الشيوخ الذي دعى إلى عدم المغالاة في تقوية مسينيسا، والحفاظ على مصلحة الشعب الروماني[5]، خاصة عندما أحسوا باستقلالية مسينيسا أن قوته في تزايد، تدخلت روما بالقضاء على توسعات مسينيسا الذي بدأ يشكل خطرا على المصالح الرومانية في إفريقيا، عن طريق القضاء على قرطاجة، وبذلك تقضى على طموحات مسينيسا بطريقة غير مباشرة.

وبعد وفاة مسينيسا، خلفه أبناءه الثلاثة غلوسة، مستنبعل، ومكيبسا، وبعد مدة انفرد هذا الأخير بالحكم، وسار على نهج والده[6]، ويتجلى ذلك في الدعم العسكري الذي قدمه لروما في حروبها في جزيرة ايبيريا في سنوات 143-142-141 ق.م[7]، كما أرسل مساعدات عسكرية لسكيبيو في حرب النومانس بقيادة يوغرطة سنة 143 ق،م، والمتمثلة في المشاة والفرسان، واكتسبوا من خلال مشاركتهم في الحروب إلى جانب الرومان من الخبرة العسكرية التي تميزت بها الفيالق الرومانية[8].

ونستنتج مما سبق أن فترة مكيبسا قد سادها نوع من الهدوء في علاقته العسكرية مع روما نظرا لما أسماه البعض بعلاقة المصالح المتبادلة، إلى أن جاءت فترة حكم يوغرطة، والذي أراد أن يوحد مملكة نوميديا بعدما تم تجزئها، وإقامة مملكة قوية[9]، وهذا ما تعارضه روما لتخوفها من أن يهدد مصالحها الاقتصادية والسياسية في المنطقة، ونستنتج ذلك من خلال تقسيم لجنة أوبيميوس سنة 116 ق.م[10] التي منحت الجزء الغربي ليوغرطة لأنه يشكل خطرا على المقاطعة الرومانية، وبالتالي لا تطمئن روما إلى مجاورته، أما أذربعل فقد منح الجزء الشرقي لأنه مسالم ولا يشكل خطرا على مصالح روما.

لم يمر وقت طويل حتى تأكدت روما خطورة يوغرطة بعد أن نَكَّل بحليفها أذربعل والجالية الإيطاليـــــة[11]، ودفاع هذه الأخيرة عن المدينـــــة، دفاع عن مصالحها في المنطقة، وهذا العمل شكل حسب ساليست سبب في الإعلان عن الحرب ضد يوغرطة[12]، لأنه أساء إلى روما[13]، واعتبر بروني يوغرطة نموذج للحرية الافريقية، وهو الذي حاول الوقوف في وجه السياسية الرومانية في المنطقة والتدخل في الشؤون الداخلية لنوميديا[14].

وبعد انتصار روما على يوغرطة اعتبرت نوميديا ملك عام للشعب الروماني المنتصر، فكان متيسرا على روما أن تعلن نوميديا المهزومة إقليما رومانيا، لكنها أبقت على نوميديا في صفة دولة تابعة أكثر منها حليفة، وفتحت المجال واسعا أمام تجارها وطبقة الفرسان والباحثين عن الثروة، وعدم ضم روما لنوميديا باعتبار أرض انهزم فيها أعدائها، شكلت في أوساط أعضاء السيناتو من ذوي الاتجاه المعادي للأرستقراطية المسيطرة على هذا المجلس، فأوهموا الناس أنه كان على أرباب العمل والسلطة في روما أن ألا يتركوا الفرصة للنوميديين حتى يصبحوا في مستوى الخطر الذي ظهر به يوغرطة على روما، وأنه كان يجب على الأرستقراطية الحاكمة أن تتصرف بطريقة أخرى، تجعل من مملكة نوميديا إقليما رومانيا منذ انتصار الجيش الروماني في إفريقيا استنادا إلى العرف الروماني القديم[15].

---

[1] Tite live, XLII.

[2] Gsell S.T, op - cit, p., III,194.

[3] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 26.

[4] Pline (A.), *H. N*, L.V, trad. Jehan Desanges, éd les belles lettres, paris, 1980, XX, 20.74-75.

[5] Appien, VIII, 9.61.

[6] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 51.

[7] Appien A, H.A.A.N, T.,V, p 137.., Iber, 67. ; Gsell S.

[8] Salluste, Guerre de Jugurtha, trad. Charles du rozier et Yves Germain, éd Paléo, Paris, 2003.VI, VIII ; Appien, Lber, 89.

[9] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 47.

[10] Carcopino J., *le Maroc antique*, éd, Gallimard, Paris, 1943, p285.

[11] Salluste, XXVI.

[12] Lo-cit.

[13] Decret F., Fantar M., L'Afrique du nord dans L'antiquité (dés origine ou V^e siècle), Payot, paris, 1981, p.172.

[14] Peyronnet Ra., Le problème Nord Africain, T1, édition Peyronnet, Paris, 1970, p 135.

[15] شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر القديم (دراسات وبحوث)، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص 73.

ورغم هذه المعارضة الشديدة للسياسة الرومانية، إلا أن الرومان كانوا مترددين في التدخل المباشر في إفريقيا، واعتمدت على ملوك موالين، وتفادي الإدارة المباشرة[1]، وصف مومسن هذه السياسة بسياسة الجبناء ونقص الرؤية[2]، وهي سياسة الحذر لدى الرومان نظرا لشخصية سكانها[3]، واعتبرها بوسبير قمة الحكمة الرومانية[4].

وفي إطار الحروب الأهلية الرومانية، أصبحت إفريقيا ملجأ للقادة العسكريين مثل ماريوس ومن بعده أنصار بومبي، وهذا ما جعل إفريقيا مسرح لصراعات الرومان فيما بينهم[5]، وقد استغل بعض الملوك هذه الاضطرابات، للقيام بمحاولات تحررية، خلال هذه الهزات السياسية الرومانية، فكان الرومان يتجنبون خطر هذه المحاولات، ويفوتون على أصحابها فرص النجاح، ولعل أبرز هذه الثورات الوطنية التي انتهزت فرص الأزمات السياسية الرومانية للقيام بحركة تحررية، ثورة الأمير النوميدي هيرباص الذي استغل الصراع بين ماريوس وسيلا، وتمكنت حركته من انتزاع السلطة من خصومه مسينيسا و هيرباص الثانيين أتباع بومبيوس[6]، لكن حركته ما لبثت أن أخفقت أمام قوات سيلا.

وفي النصف الثاني من القرن الأول ظهرت حركة أخرى قادها الملك يوبا الأول، واعتبرها فرصة لتخليص إفريقيا من السيطرة الأجنبية، وتحقيق حلم مسينيسا في إقامة مملكة نوميدية واسعة[7]، وقد وجد الدعم في أنصار بومبيوس المحسوب على الحزب الأرستقراطي المناهض لقيصر، خاصة وأن هذا الأخير كان يدعوا إلى وضع ملكة نوميديا تحت سلطة الشعب الروماني[8]، وبذلك اختار التيار الأرستقراطي لأبعاد وطنية محضة[9].

كان أهم انتصار حققه يوبا الأول هو القضاء على حملة كوريو 49 ق.[10]، وكسب بذلك تأييد مجلس الشيوخ في مقدونيا، ومنحه لقب صديق وحليف الشعب الروماني[11]، وبذلك أصبح يوبا حسب قزال يعتبر نفسه الحاكم الحقيقي ليس لمملكة نوميديا فحسب وإنما على مقاطعة إفريقيا ككل[12]، وما القادة الرومان إلا مساعدين له[13]، مكنه ذلك من كسب الكثير من الأنصار في إفريقيا وتجنيد الآلاف من المشاة والفرسان للتحضير لمرحلة لاحقة.

غير أن يوبا الأول لم يوفق في تقديرات للجو السياسي بمنطقة المغرب، وما يمكن أن يترتب عنه من تطورات في الميدان العسكري، فكانت حالة التبعية التي كانت تميز علاقة الممالك النوميدية القديمة بروما قد ساعدت الأطراف المتنازعة في روما نفسها على كسب موقف هذه المملكة أو تلك إلى جانبها[14]، دون أن ننسى دور سيتيوس في إحراز النصر على أعدائه البومبيين يوبا الأول، وتطويق هذا الأخير من الخلف، وكان نصيبه من هذا النصر حسب بنابو Benabou مأخوذ بعين الاعتبار[15].

كان لانتصار قيصر على أنصار بومبيوس وسيطرة بوخوس الثاني وسيتسوس على سيرتا، نتائج كبيرة على مملكة نوميديا خاصة في الميدان السياسي والاقتصادي، فتم إنهاء الوجود السياسي لنوميديا والقضاء على سيادتها، وضمها إلى المكاسب الرومانية القديمة.

---

[1] نفســــــــه، 74.

[2] Mommsen Th., Histoire Romaine, T. V, Trad, C.A Alexander, édi A.L. Harold, Lib. Afrawk, Paris, 1863, p 160.

[3] Boissiere G., L'Afrique Romaine, édi Saint Germain, Le Rov, S.D, p 84.

[4] Ibid, Esquisse d'une histoire de la conquête et de L'administration Romaine dans le nord de L'Afrique, édi. Hachette, Paris, 1878, p 156.

[5] شنيتي محمد البشير، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق.م-40م) ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1، الجزائر، 1985، ص 60.

[6] Salluste, Conjuration de Catilina, tra. F. Richard, édi les belles lettres, Paris, 1954. , XVIII.

[7] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 62.

[8] Dion Cassius, Histoire Romaine, trad E. Gros. Edi Librairie de Firmin, Paris, 1945, XLI, 41.3.

[9] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 63.

[10] Dion Cassius, XLIII, 30.

[11] Ibid, XLI, 42.6.7.

[12] Gsell S , VIII, p35.., H.A.A.H., T.

[13] Mommsen 46.3p T. V, , Op – cit,.Th

[14] شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر...، ص 75.

[15] Benabou M., La résistance Africaine à la romanisation, éd. Maspéro, Paris, 1975, p 39.

لكن هذه النزعة الوطنية لدى النوميد بقيت قائمة، وظلت روح النضال تدفعهم إلى المزيد من المحاولات والتجارب من أجل إيقاف المد الروماني في بلادهم، وكثيرا ما استغلوا التصدع السياسي في السلطة الرومانية للقيام بنشاط عسكري، وهذا ما نلمسه في الثورة التي قادها أرابيون، وهو الذي استطاع أن يقضى على سيتيوس ويسترجع الإقليم الذي كان يسطر عليه[1]، ثم أزاح جيش بوخوس الثاني من الجزء الغربي من مملكة نوميديا القديمة، فأحيى بذلك أرابيون بهذه الانتصارات السريعة كيان نوميديا الغربية[2].

لكن لم يكن لروما أن تترك قوة أرابيون تشكل خطرا على مصالحها في المنطقة خاصة وأن قوته أصبحت لا يستهان بها، وقد تدفعه إلى الانقلاب ضده بعد أن يمتن أركان المملكة التي أحياها[3]، فقرر سيكتيوس أن يضع حدا لنشاط هذا الأمير النوميدي، قبل أن يستعصي أمره، فاغتاله بدعوى أنه اشتبه في أمره[4]، كما تابع هجماته ضد الثوار النوميديين من أتباع أرابيون الذين قاوموه باستماتة.

ومجمل القول هو أنه رغم السياسة السلمية لبعض الملوك الأفارقة في المنطقة، واتخاذ البعض أسلوب القوة في وجه السياسة الرومانية في المنطقة، إلا أن هدفهم واحد وهو الحفاظ على أمن واستقرار ممالكهم في المنطقة، لأنهم كانوا على علم بأن الرومان هدفهم منذ البداية هو السيطرة على حوض المتوسط، ومنع أي محاولة تهدف إلى الإخلال بأمن روما، وبالتالي يجب على الجميع الخضوع لها[5].

ثانيا: طبيعة العلاقات الاقتصادية.

1/ المبادلات التجارية:

لقد مثلت التجارة الخارجية أهم الأنشطة الاقتصادية التي احتلت مكانة هامة لدى الإمبراطوريات القديمة باعتبارها مصدر دخل كبير للدول نتيجة المبادلات القائمة من خلالها، وكذلك باعتبارها أساس قيام العلاقات ومظاهر الاتصال والاحتكاك مع مختلف الدول، ولهذا اهتمت بها مملكة نوميديا، وكانت من إحدى أهم أهداف الملوك المحليين.

فبعد انهزام قرطاجة وسيفاكس أواخر القرن الثالث قبل الميلاد[6]، على يد مسينيسا وحليفته روما، استطاع العاهل النوميدي أن يوحد مملكة نوميديا، وأن يقيم نظاما مركزيا قويا، حيث كان هدفه من ذلك جعل المملكة تلعب دورا اقتصاديا هاما في حوض المتوسط، وهذا ما شرع فيه، حيث وسع الأراضي المستغلة لإنتاج مختلف المحاصيل الموجهة للتبادل التجاري وبالأخص الحبوب، خاصة بعد استرجاع أراضيه المسلوبة من طرف قرطاجة، وإضافة إلى الإشراف على الموانئ والمحطات التجارية التي كانت تحت نفوذها[7]، كما عمل على تطوير المدن الساحلية لوعيه بما تختص به من أهمية في العلاقات مع الدول المجاورة لحوض المتوسط[8].

لكن بالمقابل من ذلك، كان لانتصار روما على قرطاجة وتأسيس ما يسمى بمقاطعة إفريقيا الرومانية سنة 146ق.م، بداية توافد إيطالي لم ينقطع سيله طيلة عهد الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، إذ كان تحطيم قرطاجة في نظر التجار الايطاليين والراغبين في الاستثمار فتحا مكنهم من الجلوس على حطام المؤسسات الاقتصادية البونيقية، والاستيلاء على تركة القرطاجيين وتحويل مواردها لصالحهم.

غير أنه لا تتوفر هنالك مصادر دقيقة تمكننا من التعرف على حياة أولئك المستأثرين الأوائل بالثروة الإفريقية، لكن المؤكد أن روما مجاورة ترابيا لنوميديا بعدما كانت فيما وراء البحر، والملاحظ أن النفوذ الروماني قد تزايد بحكم هذا الجوار، واتخذ طابع التغلغل عن طريق توافد العنصر البشري الروماني من رجال التجارة والاستثمار، حيث انفتحت أبواب المملكة على مصراعيها أمام التجار وأصحاب الاقتصادية من الإيطاليين، فأصبحوا يشكلون نسبة عالية من الجالية الأجنبية بالمدن النوميدية الكبرى[9].

---

[1] Appien A. , Poulle Ch., La victoire de Marius, M.A.H, vol.77, N°.01,1965, 7.9p , IV, 54.

[2] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص ص 68- 69.

[3] بشاري محمد لحبيب، المرجع السابق، ص 95.

[4] Gsell S , H.A.A.N, p196. T., VIII.,

[5] Barthier A. , La Numidie, Rome et le Maghreb, éd. Picard, Paris, 1981, p.43.

[6] Tite live, XXX.11.12.

[7] Camps G. , Massinissa...., p196,

[8] Decret F , Fantar M., op - cit, p .211.

[9] شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر القديم...، ص 71.

فوجود جالية إيطالية كبيرة في إفريقيا، حيث كانوا تجارا في أغلبيتهم[1]، ومن المحتمل أن عملهم لم يقتصر فقط على التجارة الخارجية، بل تعدت مهامهم إلى القيام بعلاقات أخرى خارجية، ذلك أن العلاقة التي كانت تربط الأرستقراطية الرومانية بالقادة النوميديين، هي علاقة كان يؤطرها ممثلو الارستقراطية الرومانية من وكلاء ورجال أعمال وتجار، كانوا يمارسون نشاطهم في مملكة نوميديا مثلما كانوا يفعلون في الولاية الرومانية، وهذا الترابط المصلحي يبعث بحكام الولاية بأن يسهروا على حماية تلك النشاطات التي يقوم بها الوكلاء عبر مدن نوميديا ومراكزها التجارية.

فالمصادر القديمة تشير إلى وجود حركة تجارية نشيطة بين روما ونوميديا بدليل تواجد التجار الايطاليين بكثرة في العديد من مدن المملكة التي كانت أسواقا كبرى كمدينة أوتيكا Utica وباجة Vaga التي وصفها ساليست بأنها أهم سوق بالمملكة، حيث يقيم بها عدد كبير من التجار المحليين والايطاليين[2]، وتيسدروس Thysdrus التي شهدت تواجد التجار الايطاليين بها حسب ما جاء في كتاب حرب إفريقية[3]، وإذا ما أشار ساليست إلى التجار الايطاليين الذين تواجدوا بالمملكة في عهد يوغرطة (118-105 ق.م) وتحدث صاحب كتاب حرب إفريقية عن التجار الذين قدموا إليها في عهد يوبا الأول، فإن بداية ظهورهم بنوميديا قد ترجع إلى عهد مسينيسا حين أقحم مملكته في التجارة الدولية التي ميزت حوض البحر الأبيض المتوسط آنذاك.

لقد استغل رجال المال والأعمال العلاقات الخاصة التي كانت تربط نوميديا بروما فحصلوا على امتيازات كبرى في ميدان المبادلات التجارية، إذ لم يكن يعقهم عن التنقل عبر المراكز التجارية أي عائق أو يعطل نشاطهم إجراء جمركي ما، بل أن حريتهم كانت مضمونة واستقلالهم عن القوانين والأعراف المحلية كان مصانا، كل هذا أتاح لأولئك الوافدين تشكيل جالية إيطالية بالمدن النوميدية لها وزنها السياسي إلى جانب مكانتها الاقتصادية المرموقة[4].

كما يتجلى لنا من خلال المعطيات المستخلصة من النصوص القديمة نجاح مملكة نوميديا في فرض تواجدها ضمن المبادلات التجارية الدولية التي ميزت حوض المتوسط، وتبرز لنا جليا أن القمح قد تصدر قائمة الصادرات النوميدية نحو روما بدليل أن المدن التي تمركز فيها التجار الإيطاليين والمشار إليهم أعلاه، إما اشتهرت بزراعة القمح أو تقع بالقرب من حقول القمح، هذه المادة التي كان مجتمع روما بأمس الحاجة إليها لاسيما وأن نسبة منها كانت توزع مجانا على عوام المدينة[5]، ومما يدل على أهمية القمح النوميدي لدى الرومان هو قول صاحب كتاب حرب إفريقية، والذي جاء فيه أن المزارعين والتجار الايطاليين قاموا بتخزين 300 ألف صاع من القمح بمدينة تيسدروس خلال الحرب الأهلية بين يوليوس قيصر وبومبيوس[6]، دون أن ننسى المقولة الشهيرة لقيصر والتي مفادها أن نوميديا التي غزاها توفر الدولة الرومانية 12 مليون مد من القمح سنويا[7].

لكن النقطة التي اختلف فيها المؤرخون هي هل كانت هذه العلاقات التجارية بين مملكة نوميديا والجمهورية الرومانية صفقات تجارية بين الطرفين ؟، أم أنها عربون صداقة لا غير بهدف رد الجميل لروما لأنها منحت الملك والعرش لمسينيسا ليسيرها بالوكالة ؟.

يشير تيت ليف إلى أن مسينيسا تأسف عندما دفعت روما سعر القمح الذي قدمه هبة لها سنة 170 ق.م، ويحاول تيت ليف أن يستشف أدلة على ما ذهب إليه من امتناع مملكة نوميديا من قبول تعويضات بعثت بها روما إليها عن حبوب تلقتها منها أثناء حروبها في

---

[1] Christophe Hagoniot, *Rome et Afrique, de chute de Carthage au début de la conquête arabe,* Champs Université, Flammarion, 2000, p35.

[2] Salluste, XXI,2 ; XXLVII,1.

[3] César , XXXVI,2.

[4] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 72.

[5] منصوري خديجة، "العلاقات الخارجية بين مملكة نوميديا و دول الضفة الشمالية لحوض البحر الأبيض المتوسط من خلال النصوص القديمة"، مجلة الجزائر النوميدية، قسنطينة، 2010، ص 87.

[6] César, XXXVI,2.

[7] Plutarque, Vie de César. Trad, A .Materne, Paris, Librairie Hachette, 1983, LX.

اليونان، وأورد تيت ليف تصريحا لابن مسينيسا الذي أوصل المساعدات إلى روما جاء فيه بأن أباه مدين للشعب الروماني ولا يحق له قبول هذه التعويضات[1].

لكن بالمقابل ألا تعتبر هذه الإشارة في حد ذاتها دليل على أنها كانت صفقات بكل معاني الكلمة، كما أن نفس المؤرخ يشير في موضع آخر إلى أن مسغبا -أحد أبناء مسينيسا- نزل بروما، وأما مجلس الشيوخ استعرض المساعدات التي قدمها مسينيسا، وكذا الأموال التي قام الرومان بإرسالها إلى العاهل النوميدي مقابل القمح المقدم[2]، ففي هذا الصدد يشير حارش إلى أنها كانت صفقات تجارية[3]، وأن تيت ليف روى خبرا ونسب كلامه لأمير نوميدي أمام مجلس الشيوخ مضمونه اعتراف بالتبعية دون سند تاريخي[4]، كما أنه تم العثور على قطع نقدية في إيطاليا وصقلية تعود إلى مسينيسا وكذلك خلفائه من بعده، كما تم العثور على قطع نقدية إيطالية في بلاد المغرب لدليل قاطع على صفة التبادل التجاري بينهما.

هذا فيما يخص طبيعة العلاقات الاقتصادية بين مملكة نوميديا والجمهورية الرومانية، أما تاريخ استقرار التجار الايطاليين في بلاد المغرب ففيه اختلاف كبير، حيث يرى هوت[5] (Huet P.D) أن روما لم تعرف تجارة مع بلاد المغرب إلا بعد تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م، أي لم تكن هناك تجارة قبل هذا الزمن، وهذا ما يفهم أيضا من سويتونيس Suetonuis[6]، في حين يرجعها البعض لفترة مسينيسا، كما تحولت نوميديا بعد حرب يوغرطة إلى سوق للتجار الرومان والجواسيس الذين يستغلون الثروات النوميدية، حيث بادر ماريوس بعملية استيطان الجالية الايطالية في العديد من المدن، ومن بعده يوليوس قيصر الذي فتح المجال للاستثمار في كل أراضي إفريقيا، والملاحظ أنه في تلك الفترة تغيرت نظرة الساسة الرومان اتجاه حملات الاستيطان بصفة جذرية بعدما وجد فيها سادة روما الوسيلة الامثل في تطبيق وإنجاح سياسة الرومنة في إفريقيا ضمن مخططاتهم الرامية إلى تطبيق المشاريع السياسية في المنطقة، لذلك بادر قيصر مباشرة بعد انتصاره لوضع حد لكيان المملكة النوميدية التابعة ليوبا الأول، وتحويلها إلى مقاطعة إفريقيا الجديدة لاستيعاب العدد المتزايد من المستثمرين الرومان، خاصة فئة قدماء المحاربين.

وباعتبار الجيش الروماني في كان مؤسسة متكاملة من وحدات قتالية ووحدات الهندسة العسكرية، فانه انتهج سياسة إلحاق الأراضي من خلال إستراتيجية لخصت في مسح الأراضي التي تم احتلالها بالقوة، لتضاف إلى أملاك الشعب الروماني، فمباشرة بعد الاستحواذ على الأراضي من طرف الوحدات القتالية تقوم فرق الهندسة العسكرية، بإحصاء الأراضي وتقسيمها إلى مساحات متساوية[7]، لتسهيل عملية مراقبتها وإعطائها الصبغة الرسمية والشرعية لهذه الأراضي، وكل هذه الإجراءات تهدف على تسهيل عملية جمع الضرائب والتحكم في كل المقاطعات الإفريقية، فقام بإنشاء الطرق وأبراج المراقبة لتسهيل عملية التدخل السريع ونقل خيرات هذه المقاطعات اتجاه الموانئ والمدن الكبرى[8].

2/ العملة النوميدية و قضية السيادة: تعتبر العملة والمسكوكات من أهم العوامل التي تبين سيادة دولة ما، وكذلك نفوذها على الساحة الدولية، فالعملة في القديم كانت بمثابة عامل اقتصادي وسياسي هام في تطوير العلاقات بين مختلف الدول، وكذلك التحكم في التعامل التجاري وتسهيل المبادلات وتنظيم الجباية، وذلك بجعل العملة مكافئة لقدر من البضاعة أو الأجر والأداء المستحق، ومن هذا المنطلق كان يجب أن تضمن قيمتها سلطة وتسهر عليها مؤسسة لتسهر على مراقبتها والتكفل بكل ما يترتب عن التعامل بها من تبعات ربحا و

---

[1] Tite live, X LX.13.

[2] Ibid , XLV, 14.

[3] حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص 135 .

[4] شنيتي محمد البشير، السيادة النوميدية من خلال المصادر القديمة...، ص 34.

[5] Huet p.d., histoire du commerce et de la navigation des Anciens, éd. Fournier Rabat, 2004 , p 63.

[6] Suétone, Les douze césars, trad, Maurice Rat, éd. Garnier fréres, Paris, 1955, Vie de Terence, 1.

[7] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة...، ص 52.

[8] Cagnat (R.L.V.), *L'armée romaine et l'occupation militaire de l'Afrique* ,p 316....

خسارة[1]، ومن الجهة الدينية، كـــان الدفن الإرادي لقطع من العملـــة طقسا دينيا، يقتضيه تأسيس المعبد، وهو يدل على معزة النقود ودلالتها لدى الأمم[2].

لقد اقترن ظهور العملة بسلطة ذات نفوذ وقدرة على التحكم[3]، وهو بارز بوضوح فيما بعد، لما ظهرت المنافسة التجارية قصد الانفراد بالأسواق، وهذا ما لم تغفله مملكة نوميديا، على غرار كل شعوب البحر المتوسط القديم، فإذا كانت شعوب الحوض الشرقي للبحر المتوسط هي السباقة لإصدار العملة، فإن قرطاجة كان لها السبق في جزءه الغربي ابتداء من القرن الخامس قبل الميلاد[4].

أما نوميديا فقد عرفت صك العملة في القرن الثالث قبل الميلاد، وكانت الغربية منها هي السباقة لذلك، فقد أصدر كل من سيفاكس وابنه فيرمينا العملة[5]، وكانت له علاقات مع إسبانيا، أين سك جزء من عملته، والتي كانت من البرونز و تحمل اسم الملك بالبونيقية[6]، ومن المحتمل أن تكون له نقود فضية [7].

أما نوميديا الغربية فقد عرفت سك العملة في عهد غايا[8]، في حين شنيتي يرفض ذلك، لأن نوميديا لم تعرف عملة آنذاك، فيقترح أن يكون الحضر القرطاجي عن إصدار العملة، ربما يكون سبب ذلك، حيث لم تشمل حركة النقود جميع أنحاء المملكة إلا في عهد مسينيسا ومكيبسا، أما بعدهما فكانت قليلة[9].

فيما يخص أنواع العملة فكانت لنوميديا نوعين من رئيسيين، عملة سكت باسم ملوك نوميديا، والنوع الثاني باسم مدن المملكة، ويمكن أن نضيف نوع ثالث يحتمل أنها تعود لبعض حكماء القبائل، أما فيما يخص المادة المستخدمة، فهي تبين لنا الحالة الاقتصادية للكيان السياسي الذي سكت باسمه، حيث تعتبر النقود الرصاصية أكبر كماً من النقود المضروبة من باقي المعادن، لوفرة وسهولة استخراجه[10]، واقتصر استعماله على التبادل التجاري المحلي[11]، وبدرجة أقل نجد النحاسية وذلك لندرة مناجم النحاس في نوميديا، وكانت تتداول داخل أرجاء العالم المتوسطي، والدليل على الكنزان اللذان عثر عليهما في كولا ببلغاريا، والثاني في مازين Mazin بكرواتيا الذي احتوى على 328 قطعة معظمها تعود إلى 80 ق.م[12]، أما الذهبية والفضية فهي نادرة، منها 3 قطع ذهبية منسوبة وقطعتين لمكيبسا[13]، ومجموعة أخرى تنسب ليوغرطة وإلى هيمصال الثاني[14]، أما مسينيسا فلم يسك عملة من معدن الذهب، باستثناء مادة الفضة[15]، والتي تستخدم للتجارة الخارجية[16]، كما عثر على كنز نقدي في قسنطينة يعود إلى 79 ق.م عددها 273 قطعة، وكلها أجنبية إغريقية، رومانية، مرسالية، اسبانية[17].

---

[1] شنيتي محمد البشير، نوميديا العملة والسيادة، الجزائر النوميدية، متحف سيرتا، قسنطينة، 2010، ص 74.

[2] نفســه.

[3] نفســه.

[4] Camps G .203, Op - cit, p..

[5] Troussel Marcel, *le trésor monétaire de Tiddis*, **R.S.A.C**, T.66, 1948, p129.

[6] Camps G .206Op - cit, p. ,.

[7] Müller L , *Numismatique de l'ancienne Afrique*, Imprimerie de Biano Luno, Copenhague, 1860, avec un supplément de 1874, N°2.4, pp 90-91.

[8] Gsell .157p T., V., , H.A.A.N,.S

[9] Camps G .300, Op - cit, p..

[10] Troussel Marcel, *l'énigme de la tête laurée et barbue et du cheval galopant a gauche*, **R.S.A.C**, 1955-1956, p 43.

[11] Ibid.

[12] Camps G 8.20, Op - cit, p..

[13] Müller L , Op-cit, N°6-7, p 16..

[14] Ibid, N°40.45, p38.

[15] Müller L , Op-cit, N°50.58, pp 92-95..

[16] Claude Nicolet, *Rome et la Conquête du monde Méditerranéen*, T.,2, imp., P.U.F,1991, p22.

[17] Charrier L , *description des monnaies de la Numidie et de la Mauritanie*, protat frères Maçon, 1912, p 10..

أما عدم إصدار مسينيسا للنقود الذهبية فيرجعه البعض إلى محافظته عليه في شكل سبائك، وخوفه من خروج هذا المعدن من نوميديا، وإحداث خلل في ميزانيتها، لتوفر عدد كبير من التجار الشرقيين، والإغريق والايطاليين[1]، وقد اتبع في ذلك سياسة ملوك الشرق ومصر وحتى الدويلات الإفريقية[2].

لقد كان لإصدار العملة علاقة بسيادة الدولة النوميدية واستقلالها، فكان بذلك عملا سياسيا وإشهاريا كبيرا، فضلا عن كونه عملا اقتصاديا أو تجاريا[3]، فكان ذكر اسم الملك وصفته على العملة بعد كبيرا، فمثلا العملة التي نسبت لسيفاكس ظهر على أحد وجهيها الملك، متجها نحو اليسار ملتحيا، وعلى الوجه الآخر حصان يركض ناحية اليسار يمتطيه فارس يمسك بلجامه، ويلبس رداءا فضفاضا، تحته كتابة بونية على الشكل التالي: س.ف.ك – ح.م.م.ل.ك.ت، وكذلك ذكر فرمينا على عملته بصفته ملك ونفس الشيء بالنسبة لمسينيسا، ويوبا الأول، أما الملوك النوميديين الذين خلفوا هؤلاء، فلم يتم ذكر صفتهم باستثناء ذكر اسم الملك مختصر مثل غ.ن بالبونية و التي تعني غلوسة، و ح بالبونية و تعني هيمصال، فما سبب ذلك ؟.

يذكر شنيتي أن سيفاكس أصدر عملة، ليس لأنه ملكا قويا، وصهر قرطاجة وحليفهم المخلص، لكن لأن هذه الأخيرة قد أذنت له بضربها، ليعبر من خلالها عن قوته ومكانته كملك صاحب سيادة على إقليمه السياسي المعترف به طرف حلفائه القرطاجيين، ومن جهته ضرب مسينيسا عملة باسمه بعد اعتراف روما به ملك، حينما سلمها خصمه سيفاكس، فأذنت بدورها لمسينيسا بضرب عملة تحمل اسمه وصفته كملك، مع إخراج تلك العملة في مظهر جيد، تماشيا مع مقتضيات الدعاية الحربية[4]، فسلمت له شارات الملك، دون أن تسمح له بالانفراد بمملكة نوميديا الكبرى، والتصرف المطلق في مصيرها بمفرده.

وكثير من العملات النوميدية ما اختصر اسم الملك في الحرفين م.ن، فيرجعها البعض إلى الحرف الأول والأخير للملكين مسينيسا ومكيبسا[5]، ويرى البعض أنها يعودان للورشات التي سكت هذه النقود[6]، ويرى شاربي أن "م.ن" هما الحرفان الأول والأخير لمعظم الأسماء الليبية والبونية، فيرمزان لأسماء مختلفة لرؤساء قبائل مختلفين يجمعهم الحرفين[7].

كما عمم كذلك نفس الفهم على حرف "ه" الذي يَرِد منفردا على ظهر قطعة العملة أحيانا، فاعتبره البعض يرمز لعبارة " هملكت" أو مملكة[8]، لكن شنيتي يرفض ذلك، لأن هذه العمولات التي ذكرت بهذه الصفة " حرف ه"، جاءت في الفترة اللاحقة لزمن الملك مسينيسا، وهي الفترة التي فقدت فيها المملكة سيادتها بصفة شبه كلية، لأنه حسب شنيتي روما هي التي وزعت السلطات بين الملوك النوميديين[9].

و من هذا المنطلق، هل منعت روما خلفاء مسينيسا من كتابة أسمائهم مقترنة بألقابهم كملوك على غرار الصيغة التي ظهرت بها عملة أبيهم، حتى لا يظهروا في مظهر الملوك الحقيقيون، فأصدروا عملاتهم خالية من أسمائهم الصريحة، فجاءت بذلك لغرض التعامل التجاري لا غير.

يستند في ذلك شنيتي إلى احتمال إصدار يوبا الأول لعملة ورد فيها "يوبا هملكت"[10] باعتبارها لغة الحلفاء قادة المقاطعة، وتم سكها من قبل حرفين إيطاليين، باللغتين البونية باعتبارها لغة رسمية، ولاتينية بإذن من حاكم المقاطعة الرومانية، وبتشجيع منه لهذا الإغليد، كي يقف إلى جانبه في حرب قيصر، ولهذه الازدواجية دلالتها يقول شنيتي، بالإضافة إلى ذلك كانت له عملة برونزية من صنع محلي[11].

---

[1] شارن شافية، النشاط التجاري.....، ص ص 351-354.

[2] Camps G ,.. Op - cit, p..207.

[3] Charrier L ,.. Op.cit, pp 26-32.

[4] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 76.

[5] Troussel Marcel, *le trésor monétaire de Tiddis* ,.... pp 136-137.

[6] Ibid ,pp 136-137.

[7] Charrier L ,.. Op.cit, p17.

[8] Barthier A ,.. *La Numidie*..., pp 207-210.

[9] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 77.

[10] Mazard jean ,.. Corpus ..., p 49.

[11] شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 77.

وبذلك كان لهذا البروز المفاجئ للعملة النوميدية الملكية في ظروف سياسية، ميزها الصراع في إطار الحروب الأهلية، كما مكن يوبا الاول من البروز كملك قوي، كما سمحت الفرصة لمسينيسا وسيفاكس من الظهور في إطار الصراع بين روما و قرطاجة، وبذلك أصدروا رموز السيادة وشعارات الملك بشكل صريح لا اختصار فيه و لا تورية[1].

انطلاقا مما سبق، يعود غياب عبارة العملة الملكية في بقية الملوك النوميدية، دليل على غياب السيادة الكاملة على أراضي المملكة، و تبعيتها لروما، أما في عهد يوغرطة الذي تمرد على هيمنة روما، لذلك لم يصدر عملة صريحة باسمه.

في الأخير لا يستبعد شنيتي تفسيرا آخر لإصدار ملوك نوميديا عملات بهذه المواصفات من غير ارتباط ذلك بظروف سياسية عسكرية، اقتضت استمالة أولئك الملوك و تجنيد إمكانيات دولهم لنصرة هذا الطرف أو ذاك، وبالتالي فيجب إمعان النظر في علاقة سيادة الدولة بمواصفات العملة التي تصدرها، من حيث مدى توفرها على المعايير المعبرة عن استقلالية السلطة الآمرة بالضرب عن الخارج سياسيا واقتصاديا وثقافيا[2].

إذا كانت المصادر الرومانية وصفت علاقة نوميديا بروما بالتبعية والخضوع، وأن الملوك النوميد ما هو إلا وكلاء على المملكة، وأن الدعم العسكري الذي قدمه الملوك النوميد لروما يدخل في باب برد الجميل لاسترجاع الملك، ولأن روما عينت ماسينيسا ملكا بالوكالة على أرض انهزم فيها أعداء روما، وهي بذلك هي حق للشعب الروماني، كما زادت هذه الفكرة تجدرا في إطار الصراع بين الديمقراطيين الذين استندوا إلى طبقة العوام أواخر العهد الجمهوري والأرستقراطيين الذين يمثلون النبلاء، فالطرف الأول كان ينادي بضرورة انتفاع الشعب بأرض المهزومين، ومنها أرض سيفاكس التي آلت إلى مسينيسا بالوكالة، فإن المصادر اليونانية قد فندت ذلك، وأن ماسينيسا –حسبها- تربطه علاقة تحالف وصداقة مع روما، ولا مجال للتبعية فيها، ولكنه صديق للشعب الروماني، وشأنه شأن معاصريه المقربين للجمهورية الرومانية، ولا مجال لفكرة العطاء التي روج لها ساليست و تيت ليف.

ومن جهة أخرى منذ متى روما تفتح أراضي وتمنحها لغيرها، لو كان ذلك صحيحا لماذا تدخلت فيما بعد، عندما رأت أن توسعات مسينيسا على حساب قرطاجة تشكل خطرا على مصالحها، وقررت وضع حد لقوة مسينيسا المتنامية بالتخلص من قرطاجة سنة 146 ق.م، ومصلحتهم تكمن في وضع حد لطموح مسينيسا، ومنع قيام دولة إفريقية قوية، وهذه الدولة القوية ستعرقل السياسة الرومانية الرامية إلى بسط نفوذها في الحوض الغربي للمتوسط خاصة أن إشارة أبيان تؤكد أن الماسيل وضعوا بين يدي ماسينيسا مملكة آبائه، و هم سعداء بأنه سيكون ذلك الملك المرتقب منذ أمد بعيد، والشيء نفسه بالنسبة لفترة أبناء ماسينيسا وأحفاده.

أما في مجال العلاقات الاقتصادية التي أثبتتها المصادر القديمة، فهي تدل بحكم التعاون والتحالف التي كانت بينه وبين روما، فإذا كان تيت ليف يذكر أن هذه المبادلات ما هي إلا هبات قدمها العاهل لروما كعربون صداقة، بحيث أورد تيت ليف تصريحا لابن مسينيسا الذي أوصل المساعدات إلى روما جاء فيه بأن أباه مدين للشعب الروماني ولا يحق له قبول هذه التعويضات، لكن تيت ليف روى خبرا ونسب كلامه لأمير نوميدي أمام مجلس الشيوخ مضمونه اعتراف بالتبعية دون سند تاريخي، كما أن بعض الإشارات الواردة في بعض المصادر الأدبية تبين أن هذه الكميات التي أرسلها كانت صفقات تجارية بين الطرفين، فتيت ليف أشار إلى أن مسغبا تحدث أمام مجلس الشيوخ الروماني عن المساعدات المقدمة من طرف والده مسينيسا سواء العسكرية أو الاقتصادية، وكذا الأموال التي قام الرومان بإرسالها إلى العاهل النوميدي مقابل القمح المقدم، و في إشارة ثانية ذكر أن الملك مسينيسا تأسف عندما دفعت روما سعر القمح التي قدمها لها سنة 170 ق.م، كما كان لإصدار العملة علاقة بسيادة الدولة النوميدية واستقلالها، فكان بذلك عملا سياسيا وإشهارا كبيرا، فضلا عن كونه عملا اقتصاديا أو تجاريا.

لقد استخلصنا من خلال تتبع الوقائع التاريخية أن الملوك في بلاد المغرب القديم لم يستوعبوا الوضع بخصوص التحالف والتحالف المضاد الذي اندفعوا فيه تباعا، فمنذ أن أوقع الرومان بين مسينيسا وسيفاكس إلى مقتل أرابيون لم تتوقف الخلافات بين الممالك النوميدية وحتى بين ملوك المملكة الواحدة، وهو ما استنزف طاقاتها وأكثر من ذلك كانت نهاية عدة ملوك(سيفاكس، يوغرطة، يوبا الأول، أرابيون) الأسر أو القتل غيلة وغدرا على أيدي الرومان، وكان الأجدر أن يستوعب هؤلاء تفاعل الوقائع وتداعياتها، وأن يفهموا حقيقة واحدة وهي أن المستفيد الوحيد من التحالف مع هذا الطرف الروماني أو ذاك هي روما لا غير.

---

[1] نفسه.

[2] نفسه.